

ثمرات طاعة الرسول (ﷺ)
في سورة النور

الدكتور

عبد الصمد إسحاق حامد آدم

أستاذ التفسير المشارك بقسم القرآن الكريم وعلومه
كلية الشريعة وأصول الدين - جامعة الملك خالد، بأبها
المملكة العربية السعودية

ملخص البحث

لقد بعث الله تعالى رسوله محمداً (ﷺ) رحمة للعالمين، وأوجب طاعته، وأكدت آيات القرءان الكريم أن طاعة الرسول (ﷺ) طاعة لله، وفي سورة النور جاء الأمر بطاعة الرسول (ﷺ) بالإفراد في موضعين مما يؤكد أن طاعته (ﷺ) طاعة مطلقة ولازمة، وأن لهذه الطاعة ثمرات، فمن أطاع الرسول (ﷺ) واقتفى أثره واهتدى بهديه قطف تلك الثمار وهي:

الفوز، والهداية، والرحمة، فنال سعادة الدنيا والآخرة، أما من خالف أمره وتطاول على هديه عميت بصيرته عن قطف ثمار الطاعة فتمرق في ضنك الدنيا وشقاء الآخرة والعياذ بالله،

فالخير كل الخير في طاعة النبي (ﷺ) ومحبته والاهتداء بهديه واتباع سنته والسير على نهجه لقطف ثمار طاعته التي تناولتها السورة وهي محل الدراسة في هذا البحث.

والله الهادي إلى سواء السبيل



ABSTRACT

God has sent his Messenger Muhammad peace be upon him mercy for the worlds, and enjoined obedience, and confirmed verses of the Quoran that obedience to the Prophet peace be upon him is obedience to God. In Surat Al-Nour, the command of obedience to the Prophet (peace and blessings of Allah be upon him) came in two places, which confirms that obedience to Allah is obligatory and obligatory, and that this obedience is fruitful. Whoever obeys the Prophet، may Allah bless him and grant him peace, and guidance, and mercy, and received the happiness of the world and the Hereafter. Whoever disobeys his command and trespasses on his guidance blinded his insight from harvesting the fruits of obedience. All good in obedience to the Prophet peace be upon him and his love and the guidance of his followers and followers of his Sonah and walk on his approach to harvest the fruits of obedience, which dealt with Surat, which is the subject of study in this research.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه كما يليق بجماله وجلاله وكماله وعظمة ذاته وصلوات ربي وسلامه على نبي الهدى والرحمة سيدنا محمد و على آله وصحبه ومن ولاه واتبع هداه إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن مما يلزم العناية به و التنبيه إليه ما عني القرآن الكريم به، وحض عليه، وتكرر ذكره في آياته البينة المباركة، و من ذلك طاعة الرسول (ﷺ) فقد تكرر ذكرها في سور القرآن الكريم في مواضع عدة مقترنة بطاعة الله تعالى،،أما في سورة النور فقد جاء الأمر بطاعة الرسول في ثلاثة مواضع، الموضع الأول منها مقترناً بطاعة الله تعالى وهو قوله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ** ﴾، [النور:٥٢]، وفي موضعين جاء الأمر بطاعة الرسول (ﷺ) بالإفراد، و هما قوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ**﴾، [النور:٥٤]، وقوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصلاة وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾، [النور:٥٦]، مما شد انتباهي وشحذ عزيمتي لهذه الدراسة التي شاءت إرادة الله تعالى أن يكون عنوانها (ثمرات طاعة الرسول (ﷺ) في سورة النور) والله تعالى أسأل العون و التوفيق والسداد.

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث مما يتعلق به وهو كتاب الله تعالى، ومكانة الرسول (ﷺ)، ولزوم طاعة الله تعالى وطاعة رسوله (ﷺ) إذ أن الطاعة سلم النجاة من العذاب وسبب موصل إلى الجنة برحمة الله تعالى.

أهداف البحث:

١/ بيان أهمية طاعة الرسول (ﷺ).

٢/ الحض على طاعة الرسول (ﷺ) والتمسك بها.

٣/ التحذير من مخالفته (ﷺ).

منهج البحث:

سأتبع في كتابة هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي.

حدود البحث:

الآيات التي تناولت طاعة الرسول (ﷺ) في سورة النور.

خطة البحث:

تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث تحتها مطالب، وخاتمة.

التمهيد:-

ويشمل على معنى الثمرات ومعنى الطاعة في اللغة والاصطلاح وتعريف بسورة النور وما اشتملت عليه.

المبحث الأول:

الأمر بطاعة الرسول (ﷺ) في القرآن الكريم.

ويتكون من مطلبين:

- **المطلب الأول:** بعضاً من الآيات التي تناولت طاعة الرسول (ﷺ).
- **المطلب الثاني:** حكم طاعة الرسول (ﷺ).

المبحث الثاني:

ثمرات طاعة الرسول (ﷺ).

ويتكون من ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول**: الفلاح.
- **المطلب الثاني**: الهداية.
- **المطلب الثالث**: الرحمة.

المبحث الثالث: التحذير من مخالفته (ﷺ).

الخاتمة: وتشتمل على النتائج والتوصيات.



التمهيد

معنى الثمرات في اللغة:

الثمرات جمع ثمرة ومنه قوله تعالى: ﴿ **وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ** ﴾، [النحل:٦٧].

والثَمَرَةُ: واحدة الثَمَرِ والثَمَراتِ. وجمع الثمر ثِمارٌ مثل جبل وجبال. قال الفراء: وجمع الثِمارِ ثُمُرٌ، مثل كتاب وكتب. وجمع الثُمُرِ أَثْمارٌ، مثل عنق وأعناق. والثُمُرُ أيضاً: المال المُثَمَّرُ، ويخفّف ويثقل.[١]

وجاء في كتاب تاج العروس (وأَما الثَّمَرَةُ فجمعُه ثَمَرَاتٌ، مثلُ قَصَبَة وقَصَبَات)... وقَالَ ابْن الأَثِير: الثَّمَرُ: هو الرُّطَبُ فِي رأْس النَّخْلَةِ، فإِذا كُنِزَ فَهُوَ التَّمْرُ)[٢].

معنى الطاعة في اللغة:

جاء في المعجم الاشتقاقي المؤصلى في معنى الطاعة: ("أطاع النبتُ وغيرُه: لم يمتنع عن آكله. وأطاع له المرتع، وطاع له: اتسع له وأمكنه الرَعْي. وأطاعَ التمرُ: حان صِرامه وأدرك ثمرُه وأَمْكَنَ أن يُجْتَنَي. وأطاع النخلُ والشجرُ: أدرك. وفرس طَوْعُ العِنان: سَهْله. وناقةٌ طَوْعُ القِياد وطَوْعَتُه وطَيّعته: لينته لا تنازع قائدها".[٣]

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية (٢/ ٦٠٥)[ثمر].

(٢) تاج العروس ٣٢٩/١٠.

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصلى ١٣٢٨/٣، باب (طوع – طيع).

وقد أبان أن: (المعنى المحوري ليونة الشيء وتأَتيّه لما يراد منه: كحال النبت والمرتع المذكورين والتمر الناضج والفَرَس والناقة المطيعتين. ومنه "لسانه لا يَطُوع بكذا "أي (لا ينقاد له فينطق بما يريده). وكذلك "امرأة طَوْعُ الضجيع: مُنقادة له. وفلان طوعُ يد فلان: منقادٌ له. وطاع يَطُوع ويَطَاع ويَطِيع: لان وانقاد وتيسر للطالب، (فتمكن من توجيهه أو تشغيله)، و "أطاعه: مضى لأمره، وطاوعه: وافقه[1].

مما تقدم ندرك أن معنى الطاعة في اللغة: الانقياد والخضوع واللين وإمضاء الأمر.

معنى الطاعة في الاصطلاح:

أما معنى الطاعة في الاصطلاح للاختصار نكتفي بما جاء في كتاب الأم للإمام الشافعي (ﷺ):والطاعة تفيد الالتزام بأمر المطاع وتنفيذ طلباته[2].

تعريف بسورة النور وبيان ما اشتملت عليه السورة

سورة النور حسب ترتيبها في المصحف الرابعة والعشرون و آياتها أربع وستون آية وهي مدنية النزول، وذكرت في البرهان في علوم القرآن في ما نزل بمكة[3].

وسميت سورة النور لورود كلمة النور في ثنايا آياتها، قال تعالى: ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ** ﴾، [النور:٣٥].

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصلى ١٣٢٨/٣

(٢) كتاب الرسالة للإمام الشافعي ص٣٢.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي، ١٩٤/١.

تناولت سورة النور من خلال آياتها البينات المباركات تفصيلا واضحاً متكاملاً للمنهج التشريعي الإسلامي لتنظيم حركة الحياة وبدأت بتشنيع الزنا وأكدت على حرمته وحددت العقوبة لمرتكبيه، وحفاظاً على شرف المسلمين وصونا لكرامة أعراضهم وستر سمعتهم من ألسنة المغرضين جاء في السورة الامر الصريح بعقوبة القاذف، كما نبهت السورة لحرمة البيوت ووضعت الضوابط لدخول غير أهلها فشرعت الاستئذان، بل و أعطت صاحب الدار حق الاعتذار بلطف للزائر، وحفاظ على العفة والطهر وقفل مداخل الشيطان جاء الأمر بغض البصر وحفظ الفرج ولما كانت السورة المباركة تؤسس لمجتمع عفيف نظيف عالجت مشكلة العزوبة والعنوسة وشرعت النكاح وأمرت به وحضت عليه مبينة أن الزواج قد يكون مفتاح للغنى، وقد تناولت السورة قصة الإفك وأثبتت براءة أم المؤمنين عائشة (رضي الله عنها) بآيات واضحات تتلى أبد الدهر لا ينكرها إلا عاهر العقل خبيث القلب.

الله نور السموات والأرض، والقرآن نور يبدد ظلمات الكفر المتعددة، يضيء الحياة بمنهجه القويم القائم على طاعة الله تعالى وطاعة رسوله (ﷺ) وقد ذكرت آيات السورة طاعة الرسول (ﷺ) مقترنة بطاعة الله تعالى و بالإفراد أيضاً وهو موضوع الدراسة التي نسأل الله تعالى أن يوفقنا لقطف ثمارها إنه ولي ذلك والقادر عليه.



المبحث الأول

الأمر بطاعة الرسول (ﷺ)

المطلب الأول

بعض الآيات التي ورد فيها الأمر بطاعة الرسول (ﷺ)

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٣١) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾، [آل عمران:٣٢].

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾، [النساء:٥٩].

قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَداءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً ﴾، [النساء:٦٩].

قال الله تعالى: ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾، [النساء:٨٠].

قال الله تعالى: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾، [الأنفال:٤٦].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ

لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٥١) وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾، [النور:٥٢].

قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ** ﴾، [النور:٥٤].

قال الله تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصلاة وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾، [النور:٥٦].

المطلب الثاني
حكم طاعة الرسول (ﷺ)

الآيات المذكورة سابقاً وغيرها كثير دالة دلالة قاطعة على وجوب طاعة الرسول (ﷺ).

قال الإمام أحمد (﴿): نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول (ﷺ) في ثلاثة وثلاثين موضعاً[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (﴿): (وقد أمر الله بطاعة الرسول (ﷺ) في نحو أربعين موضعاً[٢].

قال الله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ**

(١) الصارم المسلول ٥٩/١.

(٢) مجموع الفتاوى ٨٣/٩.

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٥٩)) [النساء:٥٩].

جاء في شرح العقيدة الطحاوية: فَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿**أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾، [النِّسَاءِ: ٥٩]، كَيْفَ قَالَ: وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ، وَلَمْ يَقُلْ: وَأَطِيعُوا أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ؟ لِأَنَّ أُولِي الْأَمْرِ لَا يُفْرَدُونَ بِالطَّاعَةِ، بَلْ يُطَاعُونَ فِيمَا هُوَ طَاعَةٌ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَعَادَ الْفِعْلَ مَعَ الرَّسُولِ لِأَنَّ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، فَإِنَّ الرَّسُولَ لَا يَأْمُرُ بِغَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ، بَلْ هُوَ مَعْصُومٌ فِي ذَلِكَ، وَأَمَّا وَلِيُّ الْأَمْرِ فَقَدْ يَأْمُرُ بِغَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ، فَلَا يُطَاعُ إِلَّا فِيمَا هُوَ طَاعَةٌ لِلَّهِ وَرَسُولُهُ(١).

قلت: إن طاعة الرسول (ﷺ) طاعة مطلقة خلافاً لطاعة البشر فهي مقيدة كما في الصحيح:

عَنْ نَافِعٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ (ﷺ)، أَنَّهُ قَالَ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»(٢)، والرسول (ﷺ) لا يأمر بمعصية وإنما أمره كله خير، قال الله تعالى: ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**﴾ [النجم: ٣,٤]

وهو رسول الله اصطفاه الله لتبليغ الرسالة الخاتمة، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ**﴾ [الأنعام: ١٢٤].

والرسول (ﷺ) ذو الخلق العظيم بشهادة رب العالمين، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ**

---

(١) شرح الطحاوية، (ص: ٣٨١).

(٢) صحيح مسلم (٣/ ١٤٦٩).

لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٤].

وكذلك قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾، [آل عمران: ٣١]. قال الآمدي: ومحبة الله واجبة، والآية دلت على أن متابعة النبي (عليه السلام) لازمة لمحبة الله الواجبة(١). وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب(٢).

وجعل الله تعالى طاعة الرسول طاعة له، قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ النساء:٨٠].

فهذه الآيات الكريمة تدل دلالة قاطعة على أن الله تعالى، يوجب اتباع رسوله فيما شرعه، وأن الالتزام بطاعة الرسول كالالتزام بطاعة الله، وأن تنفيذ أقوال الرسول (ﷺ) وأوامره كتنفيذ أقوال الله تعالى وأوامره والانتهاء عما نهى عنه(٣).

النصوص القرآنية المذكورة -وغيرها كثير- برهان ودليل قاطع على وجوب طاعة الرسول (ﷺ) وبرهان على حجية السنة واعتبارها مصدرًا من مصادر الدين، (وأن أحكام السنة تشريع إلهي واجب الاتباع)(٤).

قال حجة الإسلام الغزالي (\ ): "وقول رسول الله (ﷺ) حجة لدلالة المعجزة على صدقه، ولأمر الله تعالى إيانا باتباعه، ولأنه لا ينطق عن الهوى"(٥).

وقد اتفق العلماء على أن السنة الصحيحة الثابتة التي صدرت عن رسول الله

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، ص ١٦٢.

(٢) المصدر السابق نفسه ١/١٢٤.

(٣) الإحكام، ابن حزم: ١ ص ٨٧.

(٤) أصول الفقه، خلاف: ص ٣٩.

(٥) المستصفى: ١ ص ١٢٩.

(ﷺ) بقصد التشريع والاقتداء حجة على المسلمين، ومصدر تشريعي لهم متى ثبتت بسند صحيح إما بطريق القطع، أو غلبة الظن، واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة واضحة بينة لا تدخل تحت الحصر، وصار عندهم يقين جازم بأنه لا فرق بين حكم ثبت بالكتاب وحكم ثبت بالسنة.[١]



(١) انظر شرح الكوكب المنير: ٢ / ١٦٧، والوجيز في أصول الفقه الإسلامي (١/ ١٩٤).

المبحث الثاني

ثمرات طاعة الرسول (ﷺ)

المطلب الأول

من ثمرات طاعة الرسول (ﷺ) الفوز بالنعيم الدنيوي والأخروي

قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾، [النور:٥٢].

الفوز لغة: النَّجاةُ. ويُقالُ: فازَ به [أي ظَفِرَ فَوْزاً][(١)].

جاء في مفاتيح الغيب للإمام الرازي في قوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ**﴾ أي، وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَيْ فِيمَا سَاءَهُ وَسَرَّهُ وَيَخْشَ اللَّهَ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُ مِنَ الذُّنُوبِ فِي الْمَاضِي وَيَتَّقْهِ فِيمَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِهِ فَأُولئِكَ هُمُ الْفائِزُونَ وَهَذِهِ الْآيَةُ عَلَى إِيجَازِهَا حَاوِيَةٌ لِكُلِّ مَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَفْعَلُوهُ[(٢)].

والخشية من الله هي أن: يخافه خوفا مقرونا بمعرفة[(٣)]، والمعرفة بالله سبيلها العلم، قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾، [فاطر:٢٨] أَيْ: إِنَّمَا يَخْشَاهُ حَقَّ خَشْيَتِهِ الْعُلَمَاءُ الْعَارِفُونَ بِهِ؛ لِأَنَّهُ كُلَّمَا كَانَتِ الْمَعْرِفَةُ لِلْعَظِيمِ الْقَدِيرِ الْعَلِيمِ الْمَوْصُوفِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الْمَنْعُوتِ بِالْأَسْمَاءِ

---

(١) معجم ديوان الأدب لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (٣/ ٣٩٤).

(٢) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (٢٤/ ٤١١).

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص: ٥٧٢).

الْحُسْنَى -كُلَّمَا كَانَتِ الْمَعْرِفَةُ بِهِ أَتَمَّ وَالْعِلْمُ بِهِ أَكْمَلَ، كَانَتِ الْخَشْيَةُ لَهُ أَعْظَمَ وَأَكْثَرَ [1].

قلت: قوله تعالى: ﴿**وَيَتَّقْهِ**﴾ من التقوى، والتقوى هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي وأهل التقوى هم الذين ينتفعون بهدي القرآن ومواعظه ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ**﴾، [البقرة:٢]، ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿**هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**﴾، [آل عمران:١٣٨]، ومنه قوله تعالى: ﴿**وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**﴾، [المائدة:٤٦]، وقوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ**﴾، [النور:٣٤].

جاء في تفسير ابن عطية في قوله تعالى: ﴿**هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ**﴾، [آل عمران:١٣٨]. هذا بَيانٌ لِلنَّاسِ قال الحسن: الإشارة إلى القرآن، وقال قتادة في تفسير الآية: هو هذا القرآن جعله الله بيانا للناس عامة وهدى وموعظة للمتقين خاصة،[2] وقال ابن عطية وخص «المتقين» بالذكر لأنهم المقصود به في علم الله وإن كان الجميع يدعى ويوعظ ولكن ذلك على غير المتقين عمى وحيرة[3]. وقال القرطبي: وَخَصَّهُمْ لِأَنَّهُمُ الْمُنْتَفِعُونَ بِهِمَا[4]

فهؤلاء الذين جمعوا بين هذه الصفات الحميدة التي وردت في الآية الكريمة:

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٤٤).

(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (١/ ٥١٢).

(٣) المصدر السابق نفسه، (٢/ ١٩٩).

(٤) تفسير القرطبي (٦/ ٢٠٩).

﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ وهي طاعة الله وطاعة رسوله، وخشية الله وتقواه، ﴿ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ أي بنجاتهم من العذاب، ودخولهم الجنة، أي هم الفائزون بالنعيم الدنيوي، والأخروي، لا من عداهم[1].

قلت: وهذا هو الفوز الحقيقي دخول الجنة وما عداه ليس بفوز، اللهم بفضلك وجودك أكتبنا من الفائزين وأدخلنا الجنة برحمتك يا أرحم الراحمين.

قال الشيخ السعدي: واشتملت هذه الآية، على الحق المشترك بين الله وبين رسوله، وهو: الطاعة المستلزمة للإيمان، والحق المختص بالله، وهو: الخشية والتقوى، وبقي الحق الثالث المختص بالرسول، وهو التعزير والتوقير، كما جمع بين الحقوق الثلاثة في سورة الفتح في قوله: ﴿ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلا ﴾[2]، [الفتح:٩].

المطلب الثاني

من ثمرات طاعة الرسول (ﷺ) الهداية إلى كل خير

إن من أوجب الواجبات وأعظم القربات طاعة الرسول (ﷺ) ومن ثمرات هذه الطاعة الهداية، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النور:٥٤].

جاء في أضواء البيان (وَلَا شَكَّ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ طَاعَةَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٥٤).

(٢) تفسير السعدي ٥٧٢/١.

الْمَذْكُورَةَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ وَنَحْوِهَا مِنْ نُصُوصِ الْوَحْيِ، مَحْصُورَةٌ فِي الْعَمَلِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ (ﷺ). فنَصُوصُ الْقُرْآنِ والسُّنَّةِ كُلُّهَا دَالَّةٌ عَلَى لُزُومِ تُدَبُّرِ الْوَحْيِ، وَتَفَهُّمِهِ وَتَعْلُّمِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ(١)

وَقَوْلُهُ: ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا**﴾ أَيْ: تَتَوَلَّوْا عَنْهُ وَتَتْرُكُوا مَا جَاءَكُمْ بِهِ، ﴿**فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ**﴾ أَيْ: إِبْلَاغُ الرِّسَالَةِ وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، ﴿**وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ**﴾ أَيْ: مِنْ ذَلِكَ وَتَعْظِيمِهِ وَالْقِيَامِ بِمُقْتَضَاهُ(٢).

وقوله تعالى: ﴿**وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا**﴾.

الهُدَى: نقيضُ الضَّلالة. هُدِيَ فاهتدى. والهادي من كلِّ شيءٍ: أَوَّلُهُ. أقبلتْ هَوادي الخَيْل، أي: بَدَتْ أعناقُها. وقد هَدَتْ تَهْدي، لأنّها أَوَّلُ الشَّيءِ من أجسادِها، وقد تكون الهَوادي أوّل رعيل يَطْلُع منها، لأنّها المُتَقَدِّمة. وسُمِّيت العصا هادياً، لأنّ [الرجل] يُمْسِكُها فهي تَهديه، تتقدّمه. والدَّليلُ يُسَمَّى هادياً، لتقدُّمِهِ القومَ بهدايته. (٣).

والهُدى: الرشادُ والدلالةُ، يؤنَّث ويذكَّر. يقال: هَداهُ الله للدين هدى. وقوله تعالى: ﴿ **أولم يَهْدِ لَهُمْ**﴾ قال أبو عمرو بن العلاء: أولم يبين لهم. وهَدَيْتُهُ الطريق والبيت هِدايَةً، أي عرفته وهَدَيْتُهُ الطَّرِيقَ أَهْدِيهِ هِدَايَةً هَذِهِ لُغَةُ الْحِجَازِ وَلُغَةُ غَيْرِهِمْ يَتَعَدَّى بِالْحَرْفِ فَيُقَالُ هَدَيْتُهُ إلَى الطَّرِيقِ وَلِلطَّرِيق وَهَدَاهُ اللَّهُ إلَى الْإِيمَانِ(٤).

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٧/ ٣٠٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٧٦).

(٣) كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي (٧٨/٤).

(٤) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي (٢/ ٦٣٦) (هـ د ي).

والـهَدْيُ: ما يُهدى إلى الحرم من النعم[1].

وقد ورد هدى في الكتاب العزيز على ثلاثة أوجه: هدى بنفسه كقوله تعالى: ﴿ **اهدنا الصراط المستقيم**﴾ وقوله تعالى: ﴿**وهديناه النجدين**﴾. وهدى باللام كقوله تعالى: ﴿ **الحمد لله الذى هدانا لهذا** ﴾ وقوله تعالى: ﴿**قل الله يهدى للحق** ﴾. وهدى بإلي كقوله تعالى: ﴿**واهدنا إلى سواء الصراط**﴾.

والهداية نوعان:

النــوع الأول، هداية توفيق: وهي من الله تعالى أن يوفق العبد للهداية للإيمان ولا يقدر على هذا إلا الله (ﷻ)، قال تعالى: ﴿ **إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ** ﴾، [القصص:٥٦].

النوع الثاني، هداية دلالة وإرشاد: وهي ما يقوم به الأنبياء والرسل وما ينوب عنهم من العلماء وذوي الفضل، قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾، [الشُّورَى:٥٢].

ومعنى قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** ﴾.

قال الإمام ابن جرير الطبري في قوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** ﴾ يقول تعالى ذكره: وإن تطيعوا – أيها الناس – رسول الله – فيما يأمركم وينهاكم – ترشدوا وتصيبوا الحقّ في أموركم[2].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ. ﴿**وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا**﴾ جَعَلَ الِاهْتِدَاءَ مَقْرُونًا

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٦/ ٢٥٣٣).

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان (١٩/ ٢٠٧).

بِطَاعَتِهِ[١].

وفي هذا ترغيب من الله تعالى لعباده في طاعة رسوله (ﷺ)، وقد أدرك السلف أن طاعة الرسول (ﷺ) باب للهداية فكانوا يعنون بطاعة الرسول (ﷺ) واتباع هديه والسير على نهجه.

جاء في زاد المسير في علم التفسير، وكان بعض السلف يقول: مَنْ أَمَّر السُّنَّة على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالحكمة، ومن أمّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالبدعة، لقوله تعالى: ﴿ **وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا** ﴾[٢].

قلت: الهداية الربانية هي أسمى مطالب العبودية وأعلى مقامات الدعاء بل إن أول الأدعية في أسطر المصحف الشريف كانت طلب الهداية كما في قوله تعالى: ﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ**﴾، [الفاتحة:٦]. والهداية هنا بمنعى (**الْإِرْشَادُ وَالتَّوْفِيقُ**)[٣] وهذا لا يقدر عليه إلا الله (ﷻ).

وَأَمَّا الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ فقد نقل ابن كثير عن ابن جرير الطبري قوله: أَجْمَعَتِ الْأُمَّةُ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ جَمِيعًا عَلَى أَنَّ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ هُوَ الطَّرِيقُ الْوَاضِحُ الَّذِي لَا اعْوِجَاجَ فيه وكذلك فِي لُغَةِ جَمِيعِ الْعَرَبِ[٤].

وَهَذَا الدُّعَاءُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ كَوْنِهِمْ عَلَى الْهِدَايَةِ، بِمَعْنَى التَّثْبِيتِ وَبِمَعْنَى طَلَبِ مَزِيدِ الْهِدَايَةِ، لِأَنَّ الْأَلْطَافَ وَالْهِدَايَاتِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَا تَتَنَاهَى عَلَى مَذْهَبِ أهل السنة[٥].

---

(١) تفسير القرطبي ٢٩٦/١٢.
(٢) زاد المسير في علم التفسير(٦/ ٥٧).
(٣) تفسير ابن كثير ٥١/١.
(٤) المصدر السابق (١/ ٥٣).
(٥) معالم التنزيل في تفسير القرآن: للبغوي ٧٥/١.

المطلب الثالث:

من ثمرات طاعة الرسول (ﷺ) الرحمة

قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصلاة وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، [النور:٥٦].

الرحمة في اللغة: الرَّحْمة الرِّقَّةُ والتَّعَطُّفُ والمرْحَمَةُ مثله وقد رَحِمْتُهُ وتَرَحَّمْتُ عليه وتَرَاحَمَ القومُ رَحِمَ بعضهم بعضاً والرَّحْمَةُ المغفرة(١).

الرحمة في القرآن الكريم:

والرحمة في القرآن الكريم جاءت بمعانٍ متعددة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١- جاءت بمعنى النبوة: قال تعالى: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾،(٧٤) سورة [آل عمران:٧٤]، قال علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ ﴾ أي بنبوته خص بها محمدا (ﷺ). ورحمة الله لعباده: إنعامه عليهم وعفوه لهم(٢).

٢- جاءت بمعنى القرآن: قال تعالى: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾، [يونس:٥٨]، قل بفضل الله وبرحمته: فضله الإسلام ورحمته القرآن(٣).

٣- جاءت بمعنى الخصب والسعة:قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً

(١) لسان العرب: لابن منظور، ٢٣٠/١٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن لمحمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح القرطبي أبو عبدالله ٦٠/٢.

(٣) تفسير الصنعاني لعبدالرزاق بن همام الصنعاني ٢٩٦/٢.

مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾، [يونس:٢١]، و المعنى (وإذا أذقنا الناس أهل مكة رحمة خصبا وسعة[1].

٤- جاءت بمعنى الجنة: قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، [آل عمران:١٠]،(يعني الجنة ماكثون فيه)[2].

٥- جاءت الرحمة في القرآن بمعنى الرزق: قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴾،(٢٨) سورة [الإسراء:٢٨]، أي إذا سألك أقاربك ومن أمرناك بإعطائهم وليس عندك شيء أعرضت عنهم لفقد النفقة. أي الرزق[3].

٦- جاءت بمعنى الإمهال:قال تعالى ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾،[الأنعام:١٤٧]، المعنى (يمهلكم على التكذيب فلا تغتروا بإمهاله فإنه لا يهمل)[4].

٧- جاءت بمعنى الشفقة: قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ ﴾، [الحديد:٢٧]، الرحمة هنا

---

(١) مدارك التنزيل: للنسفي، ١٢٣/٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ١٥/١٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير، ٥٢/٣.

(٤) تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل) العظيم أبادي أبو الطيب، ٤٦٢/١.

(بمعنى الشفقة، وقيل الرأفة اشد من الرحمة)[1].

والتعريف المختار الذي هو موضوع بحثنا أن الرحمة بمعنى: (النجاة من العذاب ودخول الجنة) وأيضاً(الرزق والخصب والسعة الإنعام والعفو ودخول الجنة) وهو موضوع حديثنا في هذا المطلب بإذن الله وهو أن من ثمرات طاعة الرسول (ﷺ) نيل رحمة الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿ **وَأَقِيمُوا الصلاة وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾، [النور:٥٦].

جاء في جامع البيان القول في تأويل قوله تعالى: ﴿**وَأَقِيمُوا الصلاة وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾، [النور:٥٦]، يقول تعالى ذكره: ﴿**وأقيموا** ﴾ أَيُّهَا النَّاسُ الصلاة بحدودها، فلا تضيعوها، ﴿ **وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ التي فرضها الله عليكم أهلها، وأطيعوا رسول ربكم فيما أمركم ونهاكم ﴿**لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ يقول: كي يرحمكم ربكم، فينجيكم من عذابه[2].

وفي بحر العلوم للسمرقندي عند قوله (ﷻ): ﴿**وَأَقِيمُوا الصلاة**﴾ يعني: أقروا بها وأتموها. ﴿ **وَآتُوا الزَّكَاةَ** ﴾ يعني: أقروا بها وأعطوها. ﴿ **وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ** ﴾ فيما يأمركم به من التوحيد والطاعة ﴿ **لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ فلا تعذبون** ﴾[3].

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ **لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾ يَعْنِي لِكَيْ

---

(١) فتح القدير الشوكاني ٢٢١/٥.

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر (١٩/ ٢١٠).

(٣) تفسير السمرقندي = بحر العلوم (٢/ ٥٢٢).

تُرْحَمُونَ فَلَا تُعَذَّبُونَ[1].

قلت: مما سبق من أقوال العلماء في معنى قوله تعالى: ﴿ **وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ أن الرحمة بمعنى النجاة من عذاب الله تعالى وهي ثمرة من ثمرات طاعة الرسول (ﷺ) والنجاة من العذاب برحمة الله تعالى و دخول الجنة بفضله ورحمته (ﷻ): وفي الصحيح عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) أَنَّهُ قَالَ: «لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالَ رَجُلٌ: وَلَا إِيَّاكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَلَا إِيَّايَ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ، وَلَكِنْ سَدِّدُوا)[2].

جاء في شرح الإمام النووي على صحيح مسلم قَوْلُهُ (ﷺ) (لَنْ يُنْجِي أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ قَالَ رَجُلٌ وَلَا إِيَّاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ ولا إياي إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ وَلَكِنْ سَدِّدُوا) وَفِي رِوَايَةٍ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٌ وَفِي رواية بمغفرة ورحمة وفى رواية الا أن يَتَدَارَكَنِي اللَّهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ اعْلَمْ أَنَّ مَذْهَبَ أهل السنة أنه لا يثبت بالعقل ثواب ولا عقاب ولا أيجاب ولا تحريم ولا غيرها من أنواع التكليف ولا تثبت هذه كلها ولا غيرها الا بالشرع وَمَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَيْضًا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَجِبُ عَلَيْهِ شَيْءٌ تَعَالَى اللَّهُ بَلِ الْعَالَمُ مُلْكُهُ وَالدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ فِي سُلْطَانِهِ يَفْعَلُ فيهما ما يشاء فلوا عَذَّبَ الْمُطِيعِينَ والصَّالِحِينَ أَجْمَعِينَ وَأَدْخَلَهُمُ النَّارَ كَانَ عَدْلًا مِنْهُ وَإِذَا أَكْرَمَهُمْ وَنَعَّمَهُمْ وَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ فَهُوَ فَضْلٌ مِنْهُ وَلَوْ نَعَّمَ الْكَافِرِينَ وَأَدْخَلَهُمُ الْجَنَّةَ كَانَ لَهُ ذَلِكَ وَلَكِنَّهُ أَخْبَرَ وَخَبَرُهُ صِدْقٌ أَنَّهُ لَا يَفْعَلُ هَذَا بَلْ يَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَيُخَلِّدُهُمْ في النار عدلا منه وَأَمَّا الْمُعْتَزِلَةُ فَيُثْبِتُونَ الْأَحْكَامَ بِالْعَقْلِ وَيُوجِبُونَ ثَوَابَ الْأَعْمَالِ وَيُوجِبُونَ الْأَصلح وَيَمْنَعُونَ خِلَافَ هَذَا

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم – محققا (٣/ ٧٦١)، ٤١٥٣.

(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢١٦٩) حديث رقم (٢٨١٦).

فِي خَبْطٍ طَوِيلٍ لَهُمْ تَعَالَى اللَّهُ عَنِ اخْتِرَاعَاتِهِمُ الْبَاطِلَةِ الْمُنَابِذَةِ لِنُصُوصِ الشَّرْعِ وَفِي ظَاهِرِ هَذِهِ الأحاديث دلالة لأهل الحق أنه لا يستحق أَحَدٌ الثَّوَابَ وَالْجَنَّةَ بِطَاعَتِهِ وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿**ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَاكُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾[النحل: ٣٢]، وقوله تعالى: ﴿**وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كنتم تعملون**﴾، [الزخرف:٧٢] وَنَحْوُهُمَا مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى أَنَّ الْأَعْمَالَ يُدْخَلُ بِهَا الْجَنَّةُ فَلَا يُعَارِضُ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ بَلْ مَعْنَى الْآيَاتِ أَنَّ دُخُولَ الْجَنَّةِ بِسَبَبِ الْأَعْمَالِ ثُمَّ التَّوْفِيقِ لِلْأَعْمَالِ وَالْهِدَايَةِ لِلْإِخْلَاصِ فِيهَا وَقَبُولِهَا بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَفَضْلِهِ فَيَصِحُّ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ بِمُجَرَّدِ الْعَمَلِ وَهُوَ مُرَادُ الْأَحَادِيثِ وَيَصِحُّ أَنَّهُ دَخَلَ بِالْأَعْمَالِ أَيْ بِسَبَبِهَا وَهِيَ مِنَ الرَّحْمَةِ وَاَللَّهُ أَعْلَمُ وَمَعْنَى يَتَغَمَّدُنِي بِرَحْمَتِهِ يُلْبِسُنِيهَا وَيُغَمِّدُنِي بِهَا وَمِنْهُ أَغْمَدْتُ السَّيْفَ وَغَمَدْتُهُ اذا جعلته(١).

وما أحسن ما قاله ابن القيم في حادي الأرواح: ومما يجب التنبيه عليه هو أن الجنة إنما تدخل برحمة الله ليس عمل العبد مستقلاً بدخولها وإن كان سببًا وقد أثبت تعالى دخولها بالأعمال في قوله: ﴿**بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [النحل: ٣٢] ونفى رسول الله (ﷺ) دخولها بالأعمال في قوله: "لن يدخل أحد منكم بعمله الجنة" ولا تنافي بين الأمرين لوجهين: أحدهما: ما قاله سفيان وغيره كانوا يقولون النجاة من النار بعفو الله ودخول الجنة برحمته وانقسام المنازل والدرجات بالأعمال وقد دل على هذا حديث أبي هريرة: "إن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا منها بفضل أعمالهم" رواه الترمذي والنسائي أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون منه أحد العوضين مقابلاً للآخر والباء التي أثبتت الدخول هي باء المسببية التي

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي ١٣٩٢/١٨(بَاب لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى) [٢٨١٦] ١٦١/١٧.

تقضي بسببيته ما دخلت عليه لغيره وإن لم يكن مستقلاً[1] انتهى.

قلت: فما أحوج العبد إلى رحمة الله تعالى التي بها دخول الجنة وقد تبين من خلال آيات سورة النور أن رحمة الله تنال بطاعة رسوله (ﷺ)، كما في قوله تعالى: ﴿ **وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾. ومثله فوله تعالى: ﴿**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**﴾، [آل عمران: ١٣٢].

قَولَه تعالى: **(وَأَطِيعُوا اللَّهَ)** يَعْنِي أَطِيعُوا اللَّه فِي الْفَرَائِضِ **(وَالرَّسُولَ)** فِي السُّنَنِ: وَقِيلَ:" أَطِيعُوا اللَّهَ" فِي تَحْرِيمِ الرِّبَا" وَالرَّسُولَ" فِيمَا بَلَّغَكُمْ مِنَ التَّحْرِيمِ. **(لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ)** أَيْ كَيْ يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ[2]. فبطاعة الله تعالى وطاعة رسوله (ﷺ) تنال رحمة الله تعالى.

قلت: وللتعرض لرحمة الله تعالى أسباب بينتها آيات القرآن الكريم وأرشدت إليها منها

١/ طاعة الله و الرسول (ﷺ):

قال تعالى: {**وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**}، [آل عمران: ١٣٢]، ومنه قوله تعالى: {**وَأَقِيمُوا الصلاة وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**}، [النور: ٥٦].

قَالَ القرطبي: **(وَأَطِيعُوا اللَّهَ)** [يَعْنِي أَطِيعُوا اللَّهَ] فِي الْفَرَائِضِ **(وَالرَّسُولَ)** فِي السُّنَنِ: وَقِيلَ:" أَطِيعُوا اللَّهَ" فِي تَحْرِيمِ الرِّبَا" وَالرَّسُولَ" فِيمَا بَلَّغَكُمْ مِنَ التَّحْرِيمِ.

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن قيم الجوزية ص٨٨، وانظر التنوير شرح الجامع الصغير ٢/٥١٨.

(٢) تفسير القرطبي (٤/ ٢٠٣).

(لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أَيْ كَيْ يَرْحَمَكُمُ اللَّهُ[1].

٢/ ومن أسباب التعرض لرحمة الله التقوى:

قال تعالى: **{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}**، [الأنعام: ١٥٥]

جاء في كتاب الوسيط للواحدي: **{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ}** يعني: القرآن، **{فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا}**: اتبعوا حلاله، واتقوا حرامه، لعلكم ترحمون: لتكونوا راجين للرحمة[2]. وقد ورد اقتران الرحمة بالتقوي كما في قوله تعالى: **{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}** [يس: ٤٥]

جاء في محاسن التأويل للقاسمي: أي: وَإِذا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا ما بَيْنَ أَيْدِيكُمْ أي من الوقائع الخالية في الأمم المكذبة للرسل وَما خَلْفَكُمْ أي من العذاب المعدّ في الآخرة، أو عذاب الدنيا[3]، وكذلك نجد اقتران التقوى بالرحمة في قوله تعالى: **{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصلحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}**، [الحجرات: ١٠].

قال ابن كثير: **{وَاتَّقُوا اللَّهَ}** أَيْ: فِي جَمِيعِ أُمُورِكُمْ **{لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}**، وَهَذَا تَحْقِيقٌ مِنْهُ تَعَالَى لِلرَّحْمَةِ لِمَنِ اتَّقَاهُ[3].

٣/ ومن أسباب التعرض لرحمة الله الاستماع للقرآن والإنصات:

قال تعالى: **{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}**،

---

(١) تفسير القرطبي: (٤/ ٢٠٣).

(٢) التفسير الوسيط للواحدي: (٢/ ٣٣٩).

(٣) تفسير ابن كثير ، (٧/ ٣٧٦).

[الأعراف: ٢٠٤].

قال ابن كثيرَ: أَمَرَ تَعَالَى بِالْإِنْصَاتِ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ إِعْظَامًا لَهُ وَاحْتِرَامًا، لَا كَمَا كَانَ يَعْتَمِدُهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ الْمُشْرِكُونَ فِي قَوْلِهِمْ: {**لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**} [فُصلتْ:٢٦][١].

٤/ ومن أسباب التعرض لرحمة الله تعالى ملازمة الاستغفار:

قال تعالى: {**قَالَ يَاقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ**} [النمل: ٤٦، ٤٧].

جاء في تفسير البغوي في معنى الآية: لَوْلا، هَلَّا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، بِالتَّوْبَةِ مِنْ كفركم، لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ[٢].وبنفس المعني في فتح القدير للشوكاني: لولا تستغفرون الله هلا تستغفرون الله، وتتوبون إليه من الشرك لعلكم ترحمون رجاء أن ترحموا أو كي ترحموا فلا تعذبوا، فإن استعجال الخير، أولى من استعجال الشر[٣].

٥/ ومن أسباب التعرض لرحمة الله إصلاح ذات البين:

قال تعالى: {**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠)**} [الحجرات: ١٠].

أي: إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ، فِي الدِّينِ وَالْوِلَايَةِ، فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ، إِذَا اخْتَلَفَا وَاقْتَتَلَا[٤].

والإصلاح بين الإخوة يكون، (بِالدُّعَاءِ إِلَى حُكْمِ كِتَابِ اللَّهِ وَالرِّضَا بِمَا فِيهِ

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٥٣٦).
(٢) تفسير البغوي (٣/ ٥٠٨).
(٣) فتح القدير للشوكاني (٤/ ١٦٥).
(٤) تفسير البغوي (٤/ ٢٥٩).

لَهُمَا وَعَلَيْهِمَا)[1]

قلت: وهذا خلافاً لطباع أهل النفاق الذين كشف الله حالهم وفضحهم، قال الله فيهم: {**وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ (٤٨) وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ**}، [النور:٤٨،٤٩].

قلت: وما ذكرناه من أسباب التعرض لرحمة الله وهي، طاعة الله، وطاعة الرسول (ﷺ)، والتقوى، والاستماع للقرآن والإنصات عند تلاوته، وملازمة الاستغفار، وإصلاح ذات البين، كل ذلك على سبيل المثال لا الحصر، قال الله تعالى: {**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦) الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**}، [الأعراف:١٥٦،١٥٧].



(١) تفسير البغوي (٤/ ٢٥٩).

المبحث الثالث
التحذير من مخالفة الرسول (ﷺ)

لقد أمر الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله (ﷺ) وقد توالت الآيات في ذلك ويترتب على الطاعة الثواب ومنها: أن طاعة الله وطاعة رسوله سببٌ في دخول الجنة، قال جلَّ وعلا: ﴿**وَمَنْ يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**﴾ [النساء:١٣]، ويترتب على المخالفة العذاب، ومنها أن مخالفة أمر الله تعالى وأمر رسوله (ﷺ) سبب في دخول النار والعياذ بالله تعالى عن ذلك، قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ [النساء:١٤]. وقال الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ (٧)سورة [الحشر:٧]. وقد حذر الله تعالى من مخالفة أمر النبي (ﷺ) فقال: ﴿ **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [النور:٦٣].

ومعنى ﴿ **أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ** ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ: بَلَاءٌ فِي الدُّنْيَا، ﴿**أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ**﴾، وَجِيعٌ فِي الْآخِرَةِ. وَقِيلَ: عَذَابٌ أَلِيمٌ عَاجِلٌ فِي الدُّنْيَا(١).

وجاء في تفسير الإمام القرطبي: ﴿ **أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ** ﴾ فَتَحْرُمُ مُخَالَفَتُهُ، فَيَجِبُ امْتِثَالُ أَمْرِهِ. وَالْفِتْنَةُ هُنَا الْقَتْلُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

---

(١) تفسير البغوي (٣/ ٤٣٣).

عَطَاءٌ: الزَّلَازِلُ وَالْأَهْوَالُ. جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ: سُلْطَانٌ جَائِرٌ يُسَلَّطُ عَلَيْهِمْ. وَقِيلَ: الطَّبْعُ عَلَى الْقُلُوبِ بِشُؤْمِ مُخَالَفَةِ الرَّسُولِ. وَالضَّمِيرُ فِي" أَمْرِهِ" قِيلَ هُوَ عَائِدٌ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى، قَالَهُ يحيى بن سلام. وقيل: إلى أمر رسوله (ﷺ)، قَالَهُ قَتَادَةُ. وَمَعْنَى:" يُخالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ" أَيْ يُعْرِضُونَ عَنْ أَمْرِهِ.(١)

وقال الشوكاني (\ ) في تفسيره: والفتنة هنا: غير مقيدة بنوع من أنواع الفتن، وقيل: هي القتل، وقيل: الزلازل، وقيل: تسلط سلطان جائر عليهم، وقيل: الطبع على قلوبهم.(٢)

قلت: والفتن المذكورة وبأنواعها المتعددة ماثلة في واقع الأمة في عصرنا الحاضر تتفاوت من بلد لآخر ولا أراه إلا لمخالفة أمر رسول الله (ﷺ).

وقال الشيخ الشنقيطي (\ ): في كتابه أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: وَهَذَا الْوَعِيدُ الْعَظِيمُ عَلَى مُخَالَفَةِ أَمْرِهِ، يَدُلُّ عَلَى وُجُوبِ امْتِثَالِ أَمْرِهِ(٣).

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللهِ (ﷺ)، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ، فَحُجُّوا»، فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ "، ثُمَّ قَالَ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ»(٤).

وفي صحيح ابن حبان عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ):

---

(١) تفسير القرطبي (١٢/ ٣٢٣).

(١) فتح القدير، للشوكاني، (٦٨/٤).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٤٢٧/٤).

(٤) صحيح مسلم (٢/ ٩٧٥).

"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَدْخُلُنَّ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ إِلَّا مَنْ أَبَى وَشَرَدَ عَلَى اللَّهِ كَشِرَادِ الْبَعِيرِ" قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَنْ يَأْبَى أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: "مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى"(١).

عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ الْكِنْدِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): "أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ، أَلَا يُوشِكُ رَجُلٌ يَنْثَنِي شَبْعَانًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَلَالٍ فَأَحِلُّوهُ، وَمَا وَجَدْتُمْ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ فَحَرِّمُوهُ، أَلَا لَا يَحِلُّ لَكُمْ لَحْمُ الْحِمَارِ الْأَهْلِيِّ، وَلَا كُلُّ ذِي نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ، أَلَا وَلَا لُقَطَةٌ مِنْ مَالِ مُعَاهَدٍ إِلَّا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا صَاحِبُهَا، وَمَنْ نَزَلَ بِقَوْمٍ، فَعَلَيْهِمْ أَنْ يَقْرُوهُمْ ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُمْ، فَلَهُمْ أَنْ يُعْقِبُوهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُمْ"(٢).

جاء في مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: (قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) **(أَلَا)**: حَرْفُ تَنْبِيهٍ، أَيْ: أُنَبِّهُكُمْ فَتَنَبَّهُوا (إِنِّي أُوتِيتُ)، أَيْ: أَتَانِيَ اللَّهُ **(الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ)**، أَيْ: أُعْطِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَ الْقُرْآنِ – حَالَ كَوْنِهِ مُنْضَمًّا – **(مَعَهُ)**: وَهُوَ يَحْتَمِلُ تَأْوِيلَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ أُوتِيَ مِنَ الْوَحْيِ الْبَاطِنِ غَيْرِ الْمَتْلُوِّ مِثْلَ مَا أُعْطِي مِنَ الظَّاهِرِ، وَالثَّانِي: أَنَّهُ أُوتِيَ الْكِتَابَ وَحْيًا وَأُوتِيَ مِنَ التَّأْوِيلِ مِثْلَهُ، أَيْ: أُذِنَ لَهُ أَنْ يُبَيِّنَ فِي الْكِتَابِ فَيُعَمِّمَ وَيُخَصِّصَ وَيَزِيدَ وَيَنْقُصَ، فَيَكُونُ ذَلِكَ فِي وُجُوبِ الْعَمَلِ وَلُزُومِ قَبُولِهِ كَالظَّاهِرِ الْمَتْلُوِّ مِنَ الْقُرْآنِ يَعْنِي: أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَأَحْكَامًا وَمَوَاعِظَ وَأَمْثَالًا تُمَاثِلُ الْقُرْآنَ فِي كَوْنِهَا وَاجِبَةَ الْقَبُولِ أَوْ فِي الْمِقْدَارِ **(أَلَا)**: فِي تَكْرِيرِ كَلِمَةِ التَّنْبِيهِ تَوْبِيخٌ وَتَقْرِيعٌ نَشَأَ مِنْ غَضَبٍ عَظِيمٍ عَلَى مَنْ تَرَكَ السُّنَّةَ وَالْعَمَلَ بِالْحَدِيثِ اسْتِغْنَاءً بِالْكِتَابِ(٣).

---

(١) صحيح ابن حبان – محققا (١/ ١٩٧) وقد رواه الحاكم في مستدركه (٢٢٥/٤) وقال صحيح على شرط الشيخين.

(٢) مسند الإمام أحمد،(٢٨/ ٤١١).

(٣) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (١/ ٢٤٦).

الخاتمة

الحمد لله في البدء والحمد لله في الختم والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبد الله نبراس الهدى ومصباح الدجى وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد،،،،

إن من أوجب الواجبات وأجل الطاعات طاعة الرسول (ﷺ) وقد جاءت في كثير من آي القرآن مقترنة بطاعة الله تعالى مما يؤكد أهميتها و يدل على عظمتها وعلو قدرها

جاء الأمر بطاعة الرسول (ﷺ) في سورة النور بالإفراد أي غير مقترناً بطاعة الله مما يدل على استقلالية طاعة الرسول (ﷺ) وبيان أنها طاعة مطلقة غير مقيدة وطاعة الرسول هي طاعة لله تعالى كما بين القرآن ذلك ﴿**مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ**﴾، [النساء:٨٠].

إن طاعة الرسول (ﷺ) سبب لسعادة الدارين ومخالفة أمره (ﷺ) سبب للشقاء في الدارين.

من ثمرات طاعة الرسول (ﷺ) الفوز والهداية والرحمة وهذه أعظم ما يجنيه المرء في حياته ويكتنزه لآخرته.

تترتب على مخالفة أمر الرسول (ﷺ) عواقب وخيمة في الدنيا وعذاب أليم في الآخرة.

التوصيات:

يقع على عاتق العلماء نشر الوعي والتعريف بالنبي (ﷺ) وغرس محبته في نفوس الناس من خلال أخلاقه العظيمة وسجاياه السمحة على ذوي الاختصاص من تربويين ومعلمين تربية النشء على محبة النبي (ﷺ) و طاعته والاقتداء بهدية.

طاعة الرسول (ﷺ) ليست آيات تتلى وأحاديث تقرأ فحسب وإنما هي عبادة ومنهج حياة وقيم نبيلة وحسن اقتداء.



المصادر والمراجع

١. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة.

٢. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله (ﷺ) وسننه وأيامه = صحيح البخاري المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٣. الرسالة المؤلف: الشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ) المحقق: أحمد شاكر الناشر: مكتبه الحلبي، مصر الطبعة: الأولى، ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.

٤. الصارم المسلول على شاتم الرسول المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: محمد محي الدين عبد الحميد الناشر: الحرس الوطني السعودي، المملكة العربية السعودية، بدون، ط.

٥. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار الناشر: دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٦. الفتاوى الكبرى لابن تيمية المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ) المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.
٨. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله (ﷺ) المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.
٩. المعجم الاشتقاقي المؤصلى لألفاظ القرآن الكريم المؤلف: د. محمد حسن حسن جبل الناشر: مكتبة الآداب – القاهرة الطبعة: الأولى، ٢٠١٠ م.
١٠. المستصفى المؤلف: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ) تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي الناشر: دار الكتب العلمية الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ) الناشر: المكتبة العلمية – بيروت.
١٢. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثانية.

١٣. الوجيز في أصول الفقه الإسلامي المؤلف: الأستاذ الدكتور محمد مصطفى الزحيلي الناشر: دار الخير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق – سوريا الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦م.

١٤. الإحكام في أصول الأحكام المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ) المحقق: الشيخ أحمد محمد شاكر قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس الناشر: دار الآفاق الجديدة، بيروت.

١٥. الإحكام في أصول الأحكام المؤلف: أبو الحسن سيد الدين علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي الآمدي (المتوفى: ٦٣١هـ) المحقق: عبد الرزاق عفيفي الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت- دمشق- لبنان.

١٦. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥مـ.

١٧. أنوار التنزيل وأسرار التأويل المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٨. بحر العلوم المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

١٩. تاج العروس من جواهر القاموس المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية.

٢٠. تفسير القرآن العظيم المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: سامي بن محمد سلامة الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢١. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم المؤلف: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: ٣٢٧هـ) المحقق: أسعد محمد الطيب الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز - المملكة العربية السعودية الطبعة: الثالثة - ١٤١٩هـ.
٢٢. تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: ٧١٠هـ) حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م.
٢٣. تفسير عبد الرزاق المؤلف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، دراسة وتحقيق: د. محمود محمد عبده. الطبعة: الأولى، سنة ١٤١٩هـ.
٢٤. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ) المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م.
٢٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ) تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركيب التعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ -

٢٠٠١ م.

٢٦. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: مطبعة المدني، القاهرة.

٢٧. زاد المسير في علم التفسير المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت.

٢٨. شرح العقيدة الطحاوية المؤلف: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (المتوفى: ٧٩٢هـ) تحقيق: أحمد شاكر الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٢٩. شرح سنن النسائي المسمى «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى». المؤلف: محمد بن علي بن آدم بن موسى الإثيوبي الوَلَّوِي الناشر: دار المعراج الدولية للنشر دار آل بروم للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى.

٣٠. صحيح ابن حبان: المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: ٧٣٩ هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣١. علم أصول الفقه المؤلف: عبد الوهاب خلاف (المتوفى: ١٣٧٥هـ) الناشر: مكتبة الدعوة - شباب الأزهر (عن الطبعة الثامنة لدار القلم) الطبعة: عن الطبعة الثامنة لدار القلم.

٣٢. فتح القدير المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت الطبعة: الأولى – ١٤١٤هـ.

٣٣. كتاب العين المؤلف: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) المحقق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال.

٣٤. مجموع الفتاوى المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

٣٥. محاسن التأويل للمؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت.

٣٦. مختار الصحاح المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) المحقق: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيد الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٣٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ) المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م.

٣٨. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح علي بن سلطان محمد أبوالحسن

نورالدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ) الناشر: دار الفكر، بيروت – لبنان الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٣٩. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ) المحقق: عبد الرزاق المهدي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤٠. معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)الناشر: عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م.

٤١. معجم ديوان الأدب لأبي إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ) تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م (٣/٣٩٤).

٤٢. معجم ديوان الأدب المؤلف: أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (المتوفى: ٣٥٠هـ) تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣م.

٤٣. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ) الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.



فهرس الموضوعات

